الفَصْلُ الأَوَّلُ: وَقفَاتٌ مَعَ الشُّكْرِ

(الشكر -لُغَةً- هو عرفان النعمة وإظهارها والثناء بها، والشكر من الله الرضا والثواب[١]).

وقال فى الصحاح: الشكر الثناء على المحسن بما أولاكه من المعروف؛ يقال: شكرته، وشكرت له، واللام أفصح، وتشكرت له مثل شكرت له، والشكور من الدواب ما يكفيه العلف القليل، واشتكرت السماء اشتد وقع مطرها، واشتكر الضرع امتلأ لبنًا، والدابة الشكور هى التى تظهر من السمن فوق ما تعطى من العلف.

والمتأمل فى هذا الاشتقاق يجد فى الجميع معنى: الزيادة والنماء[٢].

معنى الشكر

استعمال نعم الله -عز وجل- فى محابه، ومعنى الكفران نقيض ذلك، ولا يتم فعل الشكر وترك الكفران إلا بمعرفة ما يحبه الله عز وجل[٣].

اسم الله -عز وجل- الشكور والشاكر

قال تعالى: لَك: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء ١٤٧] وقال عز وجل: ﴿إِن تُقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لكم وَاللَّهُ

---

(١) المعجم الوجيز.

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين لابن القيم صـ ١٤٥.

(٣) مختصر منهاج القاصدين صـ ٣٠١.

شَكُورٌ حَلِيمٌ﴾ [التغابن١٧] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان٢٢]

فجمع لهم سبحانه بين الأمرين؛ أن شكر سعيهم وأثابهم عليه، والله -تعالى- يشكر عبده إذا أحسن طاعته، ويغفر له إذا تاب عليه، فيجمع للعبد بين شكره لإحسانه ومغفرته لإساءته؛ إنه غفور شكور[1].

فياله من إله كريم؛ يوفق العبد للسعي في الخيرات، ثم يشكر له سعيه ذاك، بل ويثيبه عليه، ويوفقه للتوبة ثم يقبلها منه ويغفر له ما قد سلف، فأيُّ كرم وأيُّ حلم، جل جلالك يا صاحب المنِّ والعطاء.

الفرق بين الحمد والشكر

الحمد -كما جاء في المعجم الوجيز- هو: الثناء بالجميل، وكما نرى من تعريف الحمد والشكر في اللغة أنهما يخرجان من مشكاة واحدة، فالمعنى متقارب والغاية منهما واحدة.

ولقد أوضح ابن القيم -رحمه الله- في كتابه البديع: (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين) الفرق بين الحمد والشكر، فقال رحمه الله: الشكر أخص بالأفعال، والحمد أخص بالأقوال.

وسبب الحمد أعم من سبب الشكر، ومتعلق بالشكر، وما به الشكر أعم مما به الحمد.

---

(١) عدة الصابرين صـ ٢٧١.

فما يحمد الرب -تعالى- عليه أعم مما يشكر عليه؛ فإنه يحمد على أسمائه صفاته وأفعاله ونعمه ويشكر على نعمه، وما يحمد به أخص مما يشكر به؛ فإنه يشكر -سبحانه- بالقلب واللسان والجوارح، ويحمد بالقلب واللسان[١].

ولقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: (الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود بذكر محاسنه؛ سواء كان الإحسان إلى الحامد أو لم يكن، والشكر لا يكون إلا على إحسان المشكور إلى الشاكر، فمن هذا الوجه الحمد أعم من الشكر؛ لأنه يكون على المحاسن والإحسان.

وأما الشكر فإنه لا يكون إلا على الإنعام، فهو أخص من الحمد من هذا الوجه، لكنه يكون بالقلب واليد واللسان.

والحمد يكون بالقلب واللسان؛ فمن هذا الوجه الشكر أعم من جهة أنواعه، والحمد أعم من جهة أسبابه، وفى الحديث: الحمد لله رأس الشكر[٢].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[٣]: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنْ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الأَكْلَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ فَيَحْمَدَهُ عَلَيْهَا[٤]».

ولو أردنا أن نقف مع كلام الشيخين الجليلين بشيء من التبيان لهذه المعانى النفيسة لقلنا وبالله التوفيق:

---

(١) عدة الصابرين ص ١٤٧.

(٢) (ضعيف): ضعيف الجامع ٢٧٩٠.

(٣) (صحيح): مسلم ٢٧٣٤.

(٤) معارج القبول للشيخ حافظ بن أحمد الحكمي ص ٣٨ - ٣٩.

أولاً: كلام ابن القيم رحمه الله تعالى:

يقول الشيخ: إن الشكر جانب الفعل فيه أقوى من جانب القول؛ فإن المرء قد يحصل معنى الشكر بفعل ما دون التلفظ بكلمات الشكر، وقد يجمع بين القول والفعل لكن جانب الفعل فيه يزيد على جانب القول.

أما الحمد فجانب القول فيه يزيد على جانب الفعل؛ حيث يتحقق الحمد غالبا بالأقوال التى تشتمل عليه.

كما يقول: إن متعلق الشكر وما به الشكر أعم مما به الحمد، أي: إن الشكر سببه ووسائله أكثر من الحمد؛ فإن الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح فى حين أن الحمد هو من أعمال القلب واللسان.

وفى الوقت نفسه فإن ما يحمد عليه الرب -تعالى- أعم مما يشكر عليه؛ لأننا نحمده -عز وجل- على أسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه، بينما الشكر يكون على النعمة فحسب .. والله أعلم

ثانياً: كلام شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى؛ يقول الشيخ: إن الحمد يتضمن المدح والثناء على المحمود، أي: المستحق للحمد ويكون ذلك بذكر محاسن هذا المحمود سواء أحسن إلى من يحمده أو لم يحسن؛ حيث إنه -أي: المحمود- مستحق للحمد فى ذاته دون النظر إلى الإحسان.

أما الشكر فلا يكون إلا على الإحسان من المشكور إلى الذى يشكره؛ فإن لم يوجد الإحسان لا يوجد الشكر.

وبهذا يكون الحمد من هذا الوجه أعم من الشكر؛ لأنه يكون على المحاسن والصفات التي لا تتبدل في المحمود وعلى الإحسان إن وجد، أما الشكر فإنه يرتبط بحصول الإنعام.

هذا من جهة الأسباب ولكن هناك جهة أخرى وهي جهة الأنواع؛ حيث نجد فيها الشكر أعم من الحمد، فالشكر يتأتى بالقلب واللسان والجوارح بينما الحمد يتأتى بالقلب واللسان، والله أعلم.

أقسام الشكر

لقد علمنا -الآن- أن للشكر أنواعًا وأقسامًا ثلاثة؛ وهي: الشكر بالقلب والشكر باللسان والشكر بالجوارح، فماذا نعني بكل منها؟

يجيب عن هذا السؤال الإمام أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي[1]: والشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح.

أما بالقلب فهو أن يقصد الخير، ويضمره للخلق كافة.

وأما باللسان فهو إظهار الشكر لله بالتحميد.

وأما بالجوارح فهو استعمال نعم الله في طاعته، والتوقي من الاستعانة بها على معصيته؛ فمثلاً شكر العينين أن تستر كل عيب تراه لمسلم، ومن شكر الأذنين أن تستر كل عيب تسمعه؛ فهذا يدخل في جملة شكر هذه الأعضاء.

وهذه الأقسام سوف نأتي عليها بالتفصيل إن شاء الله تعالى في سياق الكتاب.

---

(١) في كتابه: مختصر منهاج القاصدين صـ٣٠٠.

أركان الشكر

يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: وشكر العبد يدور على ثلاثة أركان؛ لا يكون شكورًا إلا بمجموعها، أحدها: اعترافه بنعمة الله عليه، والثاني: الثناء عليه بها، والثالث: الاستعانة بها على مرضاته(١).

أي: إن هناك أركانًا ثلاثة؛ لا يتم الشكر إلا بها مجتمعة:

أولها: الاعتراف بنعم الله وعدم جحودها وإنكارها؛ حيث إنه من غير المعقول أن يشكر الانسان ربه على شيء ينكره؛ ولا يقر بوجوده، ولا بكونه من فضل الله عليه.

ثانيها: الثناء على الله بها، أي: إن المرء لا بُدَّ له أن يثني على الله -عز وجل- بما هو أهل له -سبحانه- حين ينعم عليه، ونحن مأمورون بذلك بنص القرأن الكريم حيث قال تعالى: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى١١].

ثالثها: الاستعانة بهذه النعم التي وهبها الله -عز وجل- لنا على فعل الصالحات التي تبلغنا رضاه عز وجل.

الشكر من شروط العبودية لله عز وجل

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُواْ لِلّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة ١٧٢]

(١) عدة الصابرين ص ١٤٥.

قال تعالى: ﴿فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [النحل١١٤]

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِندَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت ١٧] وقال تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر ٦٦]

وعَنْ عَائِشَةَ -رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- أنها قالت: إنَّ النَبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُومُ مِنَ اللَّيْلِ؛ حَتَّى تَتَفَطَّرَ قَدَمَاهُ. فقلتُ له: لِمَ تَصْنَعُ هَذَا يَا رَسُولَ اللَّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ[1]: "أَفَلاَ أُحِبُّ أَنْ أَكُونَ عَبْدًا شَكُورًا".

ونرى من هذه الآيات الكريمة والحديث الشريف كيف أن الشكر يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالعبودية الخالصة لرب العالمين؛ فالعبودية لا تكتمل إلا بالشكر لله عز وجل، وكيف لا وقد علمنا فيما سبق أن الشكر عكسه الكفر، ويستحيل أن تجتمع العبودية لله مع الكفر فى قلب إنسان، فهما طرفا نقيض.

ففى الآيتين الأولى والثانية نجد: إن الشرطية، والتى يعنى وجودها أن كمال العبودية لله لا يكون إلا بأداء الشكر لله على نعمه وعطاياه -عز وجل- وفى الآيتين الثالثة والرابعة نجد أمرًا مباشرًا من المولى -عز وجل- لنا بالعبادة والشكر

(١) (صحيح): البخارى ٤٨٣٧، مسلم٢٨٢٠.

فيقول: ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت ١٧] ويقول ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ﴾ [الزمر٦٦]

واقتران الأمر بالعبادة بالأمر بالشكر فيه دلالة على عظم شأن الشكر عند الله -عز وجل- وأنه من الأركان الهامة التي تقوم عليها العبادة الخالصة لله -سبحانه وتعالى.

ونجد في الحديث الشريف قوله ﷺ: أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا، فقدم رسول الله كونه عبدًا لله على شكره له؛ حيث إن العبودية لله -تعالى- هي عز المرء في الدنيا والآخرة، وهي مكانة سامية؛ طوبى لمن يرقى إليها، وإذا استشعر المرء هذه المعاني، واستشعر عظمة المعبود -سبحانه- انطلق اللسان بالشكر، وامتلأ القلب به، وتنافست الجوارح في أدائه.

الشكر نقيضه الكفر

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم٧]

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ* فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ١٥-١٧]

وقال الله تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان٣]

وهكذا نرى من هذه الآيات الكريمة أن الله -عز وجل- جعل أمر الإنسان بين حالين؛ إما أن يكون شاكرًا لله على نعمة معترفًا بها، وإما أن يكون كافرًا بها منكرًا لها وشتان شتان بين الفريقين.

فالشاكر مقرب إلى ربه؛ والكافر بعيد كل البعد عن مولاه موكل إلى نفسه جرئ على الله جرأة لا يملك من مقوماتها شيئًا؛ فالله -عز وجل- هو خالقه من العدم وهو رازقه وهو -عز وجل- الذى يميته لا محالة، فالموت حقيقة أزلية لا يمكن لإنسان أن ينكرها ، وبعد كل ذلك لا يرعوي ولا يخبت لله سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة٢٨].

جحود النعمة ظلم للنفس

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم٢٨].

وقال الله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام٣٣]

فالجاحد لنعم الله -عز وجل- عليه ظالم لنفسه أشد الظلم؛ فهو فى الدنيا معذب لا ينعم بلذة الطاعة والرضا وسكون النفس؛ حياته ضنك وإن توفرت له كل مقومات الحياة الرغد، وهو فى الآخرة محاسب على تلك النعم مسئول عن كل

كبيرة وصغيرة، أي: أنه بجحوده يورد نفسه موارد الهلاك فى الدنيا والآخرة، فأي ظلم للنفس هو أكبر من ذلك!.

كفر النعم يوجب غضب الرب

قال الله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر٧].

إذن فالله -عز وجل- يرضى لعبده أن يكون شاكرًا، ولا يرضى له الكفر؛ بل إن كفره ذلك يكون سببًا فى غضب الله عليه وسخطه.

كما أن من يكفر بما أنزل الله على نبيه ﷺ يستحق غضب الله عليه، فالنبي ﷺ وما جاء به نعمة كبرى تستوجب الشكر الجزيل.

ولما كان هؤلاء قد كفروا به ﷺ حسدًا وحقدًا من عند أنفسهم واستكبارًا عن اتباع الهدى؛ فقد استوجب فعلهم أن يصب الله عليهم غضبه، ويعد لهم فى الآخرة عذابًا مهينًا، فالكبرياء لله وحده عز وجل.

الكافر مخلفٌ وعده

قال الله تعالى: ﴿قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَـٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ* قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ﴾ [الأنعام٦٣-٦٤].

قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحاً لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ* فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحاً جَعَلاَ لَهُ شُرَكَاء فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ (١٩٠)﴾ [الأعراف١٨٩-١٩٠].

وفى هذه الآيات ومثيلاتها نجد أن الله -عز وجل- يوضح لنا كيف أن الإنسان ظلوم كفار يقابل نعمة الله عليه وفضله بالكفر والنكران حين تغلق فى وَجهه كل الدروب وتشتد به البلايا والخطوب، يلجأ إلى قيوم السموات والأرض يتضرع إليه ويسأله من فضله ويعده بالشكر العظيم، إن رفع عنه ما هو فيه من بلاء، ويستجيب له المولى القدير وينجيه ويحسن إليه رغم علمه -عز وجل- بما سيكون من ذلك الكفور، وإذا بذلك الجاحد يخلف وعده مع الله، ويجعل له شركاء فى فضله عليه فيهلك نفسه، ولا يضر الله شيئًا؛ فالله غنى عن عباده.

وأرى أن من أهم أسباب ما يقع فيه هؤلاء من إخلاف الوعد مع الله -عز وجل- كونهم لم يقدروا الله حق قدره؛ لأنهم لو استشعروا عظمة من يدعون ويعاهدون لما تجرأوا على ذلك الأمر، بل ولما اشترطوا على الله النجاة مقابل الشكر، فالله -عز وجل- مستحق للشكر لذاته -عز وجل- ويجب أن يشكر ويحمد فى السراء والضراء على السواء.

من الناس من يعبد الله على حرف

قال الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ [الحج١١].

هذا صنف من الناس لم يعرف معنى التأدب مع الله -عز وجل- فهو يعبد الله -عز وجل- بقدر ما يأتيه من خير؛ فإن أنعم الله عليه شكر واطمأنت نفسه، وإن نُزِعَ منه ذلك الخير أو ابْتُلِيَ بأى نوع من االبلاء تَرَ حاله تنقلب إلى النقيض.

فهو يريد أن تسير حياته على مراده هو ولا يرضيه أن تكون حياته على مـــراد الله -عز وجل- وذلك لا محالة يصيبه الخسران فى دنياه وأخراه؛ فإن العاقل مـــن يدرك أنه لو وكل لنفسه طرفة عين هلك.

فاللهم لا تكلنا لأنفسنا طرفة عين أو أقل من ذلك وارزقنا الرضـــا بقضـــائك وهب لنا قلوبًا وألسنًا تلهج بشكرك في السراء والضراء.

وقليل من عبادى الشكور

قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ﴾ [الأعراف١٠].

وقـــال الله تعـــالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَـكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ [يونس٦٠].

قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبصَارَ وَالأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [المؤمنون٧٨].

قال الله عز وجل: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ١٣].

وقال الله عز وجل: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لا يَشْكُرُونَ﴾ [النمل٧٣].

فالله -عز وجل- يؤكد لنا فى محكم التنزيل أن الشاكرين قليل من عباده، والكثير منهم لا يشكرون.

وذلك يدل على علو مرتبة الشكر، وأن الوصول إليها يتطلب الكثير من البذل بالقلب واللسان والجوارح كما يوضح لنا عظيم نعمة الله علينا ومنَّته التي تفوق بكثير قدرتنا على شكرها، ولقد ذكر الإمام ابن القيم[1] أن [الإمام أحمد ذكر عن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- أنه سمع رجلاً يقول: اللهم اجعلنى من الأقلين، فقال: ما هذا؟ فقال يا أمير المؤمنين إن الله قال: ﴿وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلاَّ قَلِيلٌ﴾ [هود٤٠] وقال تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ١٣] وقال: ﴿إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ﴾ [ص٢٤] فقال عمر: صدقت].

---

(١) عدة الصابرين ص ١١٧.

فعل إبليس اللعين حين عرف قدر مقام الشكر

لما طرد إبليس اللعين من الجنة ومن رحمة ربه -عز وجل- جزاء تكبره وعصيانه أمرَ ربِّه توعد أن يقعد لبني آدم بكل صراط؛ وأن يصدهم عن طريق الله وأن يعمل بكل طاقته على إضلالهم؛ حتى لا يكون منهم من يشكر الله إلا القليل، وهم عباد الله المخلصون فقال عز وجل: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ* ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيمَانِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلاَ تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف١٦-١٧].

وقال الإمام ابن القيم فى ذلك[1]: [ولما عرف عدو الله إبليس قدر مقام الشكر وأنه من أَجَلِّ المقامات وأعلاها جعل غايته أن يسعى فى قطع الناس عنه إذن فمن غايات إبليس الرجيم الكبرى صد الناس عن شكر الله -عز وجل- وله فى ذلك وسائل عدة:

فقد يلقى فى قلوب بعض الناس الكبر الذى يحول بينهم وبين الاعتراف بأن الله هو صاحب النعم، وبالتالى فإن هؤلاء المتكبرين يستنكفون عن شكر المولى عز وجل، وقد يوهم البعض أنهم لا يستطيعون شكر النعمة فيحرمون أنفسهم من طيبات الرزق التى أحلها الله.

---

(١) عدة الصابرين ص ١١٦.

وقد يلقى فى قلوب البعض الخوف من الفقر والحاجة، فيجعلهم يمسكون ولا يؤدون شكر ما لهم بالإنفاق فى سبيل الله .. إلى غير ذلك من سبله الحقيرة لعنه الله.

وعلى المؤمن أن يكون يقظًا حيال تلك المكايد فلا يُمَكِن الشيطان من قلبه ولا من عقله، وذلك بالتمسك بحبل الله -عز وجل- والاستعصام به -سبحانه- والاستعاذة به -عز وجل- من شر الشيطان ومكره.

الله عزوجل غنيٌ عنا

قال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاء كَمَآ أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ﴾ [الأنعام١٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَى إِن تَكْفُرُواْ أَنتُمْ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ اللّهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [ابراهيم٨]

وقال تعالى: ﴿مَّا يَفْعَلُ اللّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَآمَنتُمْ وَكَانَ اللّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴾ [النساء ١٤٧]

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا لُقْمَانَ الْحِكْمَةَ أَنِ اشْكُرْ لِلَّهِ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾ [لقمان١٢]

من هذه الآيات نرى أن الله -عز وجل- وصف نفسه بأنه هو الغنيّ عن جميع خلقه، غني عن طاعتهم، وغني عن شكرهم، وغني عن عذابهم إن آمنوا وشكروا

برغم غناه -عز وجل- عن خلقه فإنه سبحانه رحيم كريم حميد يشكر للعبد أعماله الصالحة ويجزل له العطاء والثواب عليها؛ رغم أن هذه الأعمال تعود بالنفع على صاحبها، ولا تنفع الله -عز وجل- كما لا تضره المعصية سبحانه.

فالعبد أفقر ما يكون لفضل ربه وأحوج ما يكون لرضوانه، والله -عز وجل- أغنى الأغنياء عن خلقه؛ وبرغم ذلك نجده -سبحانه- يرزق العبد وينعم عليه ثم يوفقه للطاعة ولشكر النعمة، ثم يثيبه على ما أعطاه؛ فأي كرم وأي فضل من المنان! أفلا تستحي أيها الإنسان من كريم تبادره بالعصيان وتبوء بالجحود والنكران؟!.

لعلكم تشكرون

نجد فى القرآن الكريم العديد من الآيات التى تنتهى بقوله تعالى: (لعلكم تشكرون) وغالبًا ما تكون ختامًا لآية من الآيات التى يعدِّد الله -عز وجل- فيها نعمه وآلائه على خلقه، فالله -عز وجل- يذكر الإنسان بفضله -سبحانه- عليه وبنعمه التى لا تحصى.

وفى ختام الآية يبين له أن عليه شكر تلك النعم؛ فالشكر بدونه لا تكتمل العبودية الخالصة لله؛ فلا بُدَّ للمرء حين يتذكر نعم الله عليه أن يؤدي شكرها بالقول والفعل.

الشكر من صفات أولى النهى

إن اللبيب هو من يدرك أن الغاية من وجوده فى هذه الدنيا هي عبادة الله -عز وجل- فالله ما خلق الإنس والجن إلا ليعبدوه -سبحانه- ولا يشركوا به؛ ومن

يدرك تلك الحقيقة فهو من أولى النهي، ومن كان من هؤلاء فإنه يتلمس -بما وهبه الله من نعمة الفهم- الأسباب التي تقربه من ربه، ويتحرى كل سبيل لمرضاته -عز وجل- وسوف يدرك لا محالة أن الشكر من أعظم تلك السُّبُل ومن أهم تلك الأسباب. وحينها يجب عليه أن يشكر الله -عز وجل- أولاً على نعمة الفهم عن الله، وأن هداه الله لذلك، ثم يجتهد بعد ذلك فى الطاعات القلبية والقولية والعملية التى ينال بها رضوان الله -عز وجل- اللهم اجعلنا من أولي النُّهَى آمين.

الإعراض والشكر لا يجتمعان

قال الله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَؤُوسًا﴾ [الإسراء٨٣].

قال الله تعالى: ﴿يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف٨٧].

وفى هذه الآيات الكريمة يتضح لنا أن هناك صنفًا من الناس إذا أنعم الله عليه وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة أعرض عن شكر تلك النعم واستكبر على طاعة الله عز وجل، وإذا مسه الشر امتلأ قلبه باليأس والقنوط، وظن أنه لن يناله خير من ربه بعد ذلك.

وهذا الصنف أمره عجب؛ فهو فى الحالتين ظالم لنفسه فهو حال الإنعام لا يشكر، وفى حال الابتلاء لا يصبر ولا يرضى بقضاء الله، وهذا الصنف وصفهم الله -عز وجل- بالكفر كما فى الأية السابقة من سورة يوسف.

نسأل الله العافية، وهذا الوصف الإلهي بالكفر إنما يأتي من كونهم جحدوا نعمة الله -عز وجل- ومن ثم استكبروا عن شكرها، والله -عز وجل- لا يحب المستكبرين؛ لأن الكبرياء له وحده -سبحانه- ومن سولت له نفسه المريضة أن ينازع الله -عز وجل- فيه استحق ذلك الوصف.

وهناك سبب آخر لوصفهم بالكفر وهو انعدام اليقين لديهم بقدرة الله -عز وجل- على أن يعطيهم أكثر مما أخذ منهم لو شاء فهو -سبحانه- صاحب الخزائن التي لا تنفد؛ وصدق رسول الله ﷺ حين وصف حال المؤمن؛ فَعَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[1]: «عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ؛ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» فشتان شتان بين الأمرين.

بطر النعمة من أسباب الإهلاك

قال الله تعالى: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص٥٨].

قال الله تعالى: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ* كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ* وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ* وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ* كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ﴾ [الدخان٢٤-٢٨]

---

(١) (صحيح): أحمد ١٨٤٥٥، مسلم ٢٩٩٩.

ولقد ورد فى: مختصر تفسير ابن كثير فى تفسير آية سورة القصص، يقول تعالى معرّضًا بأهل مكة: ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾ [القصص٥٨] أي: طغت وأشرت وكفرت نعمة الله فيما أنعم به عليهم من الأرزاق كما قال: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ * وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾ [النحل١١٢-١١٣]

ولهذا قال تعالى: ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّن بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [القصص٥٨] أي: دثرت ديارهم فلا ترى إلا مساكنهم، وقوله تعالى: ﴿وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ﴾ [القصص٥٨] أي: رجعت خرابًا ليس فيها أحد].

ويقول -رحمه الله- فى تفسير آية سورة الدخان: [وقوله عز وجل: ﴿وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ﴾ [الدخان ٢٤]

وذلك أن موسى -عليه السلام- لما جاوز هو وبنو إسرائيل البحر أراد موسى أن يضربه بعصاه حتى يعود كما كان؛ ليصير حائلاً بينهم وبين فرعون، فلا يصل إليهم فأمره الله -تعالى- أن يتركه على حاله ساكنًا وبشره بأنهم جند مغرقون فيه، وأنه لا يخاف دركًا ولا يخشى ثم قال تعالى: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ﴾ [الدخان ٢٩] أي: البساتين، ﴿وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ﴾ [الدخان ٢٩] وهى الأنهار والآبار، ﴿وَمَقَامٍ

كَرِيمٍ﴾ [الدخان ٢٩] وهى المساكن الحسنة: ﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ﴾ [الدخان ٢٩] أي: عيشة كانوا يتفكهون فيها فيأكلون فيها ما شاءوا، ويلبسون ما أحبوا مع الأموال والجاهات والحكم في البلاد فسلبوا ذلك جميعه في صبيحة واحدة وفارقوا الدنيا وصاروا إلى جهنم وبئس المصير].

ومن ذلك يتضح لنا أن بطر النعمة من أهم أسباب الإهلاك والنماذج من الأمم السابقة التى أوردها القرآن الكريم دليل دامغ على ذلك كما كان الحال فى هذين المثلين؛ فكلاهما يوضح لنا أن بطر النعمة ونكرانها والكفر بها لا يأتى إلا بالخسران فى الدنيا والآخرة، وأن الله لا يظلم الناس شيئاً؛ ولكنهم أنفسهم يظلمون.

وقفة مع سورة التكاثر

قال الله عز وجل: ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ* حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ* كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ* كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ *لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ* ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ *ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر ١-٨].

فمن أهم الأمور التى قد تصرف المرء عن الشكر الانشغال بنعيم الدنيا والانغماس فيه فى حين يغفل عن المنعم الذى أعطاه كل ذلك.

ولا يستفيق إلا عند الموت ودخول القبر، فتكون الحسرة والندامة حيث لاينفع الندم.

والتكاثر قد يكون فى الأموال أو الأولاد أو الأنساب إلى غير ذلك من أسباب التفاخر والتباهي بين الناس، فكل طرف يريد أن يظهر للآخر أفضليته عليه بماله أو

بولده أو بنسبه، ولا يدرك هؤلاء أن كل ذلك من فضل الله عليهم وليس لهم فيه أدنى فضل؛ فلو شاء الله بهم غير ذلك لكان، فهو -سبحانه- فعال لما يريد.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ[1]: يَقُولُ الْعَبْدُ: مَالِي مَالِي؛ إِنَّمَا لَهُ مِنْ مَالِهِ ثَلاثٌ: مَا أَكَلَ فَأَفْنَى، أَوْ لَبِسَ فَأَبْلَى، أَوْ أَعْطَى فَاقْتَنَى، وَمَا سِوَى ذَلِكَ فَهُوَ ذَاهِبٌ وَتَارِكُهُ لِلنَّاسِ.

وفى هذا الحديث لمن لا ينطق عن الهوى؛ الذى أوتى جوامع الكلم ﷺ تلخيص لأمر المال الذي هو أكثر الأمور التى تشغل الناس فى دنياها، والذى قد يكون وبالاً على الكثير منهم إذا صار هو جل شغلهم.

فيوضح ﷺ أن المال على ثلاثة أقسام ما ينفقه المرء على مأكله، وهو فى النهاية إلى زوال، وما ينفقه على ملبسه وهو إلى البلى، والقسم الثالث وهو القسم المحمود من المال ذلك الذى يتصدق به الإنسان خالصًا لوجه الله -عز وجل- والتصدق هنا إنما يأتى بمفهومه الواسع فى كل وجوه الخير والطاعة والإصلاح؛ حتى ما ينفقه المرء على أهله وأولاده بنية التقرب بصلاحهم إلى الله عز وجل، وذلك القسم من المال هو الذي يبقى للمرء عند ربه الذي ينميه ويضاعفه له أضعافًا كثيرًا لا يعلمها إلا هو وحده.

فعلى المرء إذن ألا يشغله نعيم الدنيا عن السعي فى طلب الآخرة، وليعلم أنه مسئول عن ذلك النعيم أمام الله كما جاء فى ختام هذه السورة المباركة "ثم لتسألن يومئذ عن النعيم".

---

(١) (صحيح): مسلم ٢٩٥٩.

والنعيم ليس المال فقط، ولكنه كل ما يتنعم به في الدنيا من المال والولد والصحة والجوارح والعلم وصلاح البال إلى غير ذلك من النعم التي لا تعد ولا تحصى.

[وقال ابن كثير في تفسير قوله تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ﴾ [التكاثر٨] أي: لتسألن يومئذ عن شكر ما أنعم الله به عليكم من الصحة والأمن والرزق وغير ذلك ما إذا قابلتم به نعمه من شكره وعبادته].

ومن عجيب تأثير هذه السورة على أولي الفضل ما روى عن ابن المبارك[1]: (قال نعيم بن حماد: قال رجل لابن المبارك: قرأت القرآن البارحة في ركعة، قال لكني أعرف رجلاً لم يزل البارحة يكرر (ألهاكم التكاثر) إلى الصبح ما قدر أن يتجاوزها – يعني: نفسه) فأين نحن –أحبتي– من هذه الآيات؟!.

لئن شكرتم لأزيدنكم

قال الله عز وجل: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [ابراهيم٧].

وقال الإمام ابن كثير في تفسير هذه الآية: [﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ أي: آذنكم وأعلمكم بوعده لكم، ويحتمل أن يكون المعنى: وإذ أقسم ربكم وآلى بعزته وجلاله وكبريائه كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ وقوله

(١) سير أعلام النبلاء (٨ / ٣٩٧)، نقلا عن كتاب رهبان الليل (١ / ٤٦٧)، الدكتور سيد العفاني.

تعالى: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ أي: لئن شكرتم نعمتي عليكم لأزيدنكم منها: ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ أي: كفرتم النعم وسترتموها وجحدتموها، ﴿إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ وذلك بسلبها عنهم وعقابه إياهم على كفرها].

إذن فالله -عز وجل- جعل أمر العبد بين حالين؛ إما الشكر أو الكفر كما سبق أن ذكرنا، وفي هذه الآية أوضح المولى -عز وجل- جزاء كل من الفريقين فتعهد -سبحانه- للشاكر على نعمه بزيادة تلك النعم، والزيادة تلك لا يعلم قدرها إلا الله عز وجل، كما توعد الكافر الجاحد للنعم بالعذاب الشديد في الدنيا والآخرة.

إذن فبقاء النعمة وزيادتها مشروط بشكرها؛ فعلينا أن ننتبه لذلك، ونعلم أننا بطاعتنا لله -عز وجل- واتباع أوامره واجتناب نواهيه ننال بذلك موعود الله بالزيادة؛ والتي لم يحددها المولى -عز وجل- ويعني ذلك أنها زيادة عظيمة؛ لأن العلماء يقولون: إن الثواب أو الجزاء إذا ذكر على الإطلاق و لم يحدد فذلك يعني عظم ذلك الجزاء، والمؤمن يثق بموعود ربه، ولا يتعجل فلعل الله عز وجل يدخر له الخير الكثير.

ولقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله: [ومن كان لله كما يريد كان الله له فوق ما يريد، فمن أقبل إليه تلقاه من بعيد، ومن تصرف بحوله وقوته ألان له الحديد، ومن ترك لأجله أعطاه فوق المزيد، ومن أراد مراده الديني أراد ما يريد][1].

---

(١) نقلاً من كتاب طريق الهجرتين وباب السعادتين لابن القيم صـ ٤٨.

وقال: [فتوكل عليه وحده وعامله وحده وآثر رضاه وحده، واجعل حبه ومرضاته هو كعبة قلبك التي لا تزال طائفًا بها مستلمًا لأركانها واقفًا بملتزمها، فيا فوزك ويا سعادتك إن اطلع -سبحانه- على ذلك من قلبك، ماذا يفيض عليك من ملابس نعمه وخلع أفضاله: (١) اللهم لا مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلا مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ وَلا يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ سبحانك وبحمدك].

كلمات جليلة تستحث المرء على التزام الشكر لصاحب النعم -سبحانه- وتوضح أن فيه الخير كل الخير فى الدنيا والآخرة، فيا فوز من عقله، ويالخُسْران من جهله.

وعلى الجانب الآخر نجد كيف أن المعاصى والذنوب تكون سببًا مباشرًا لزوال النعم وللخسران فى الدارين.

ولقد قال الإمام ابن القيم رحمه الله فى ذلك: [ومن عقوبات الذنوب أنها تزيل النعم وتحل النقم، فما زالت عن العبد نعمة إلا بذنب، ولا حلت به نقمة إلا بذنب كما قال على ابن أبي طالب رضى الله عنه: "ما نزل بلاء إلا بذنب ولا رفع إلا بتوبة"(٢)].

وقال رحمه الله: [ومن عقوباتها أنها تزيل النعم الحاضرة، وتقطع النعم الواصلة؛ فتزيل الحاصل وتمنع الواصل؛ فإن نعم الله ما حُفظ موجودها بمثل طاعته، ولا استُجلب مفقودها بمثل طاعته، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته.

---

(١) (صحيح) البخاري ٦٦١٥، مسلم ٤٧٨.

(٢) الداء والدواء صـ ٨٠.

وقد جعل الله لكل شيء سببًا وآفة سببا يجلبه وآفة تبطله فجعل أسباب نعمه الجالبة لها طاعته وآفاتها المانعة منها معصيته؛ فإذا أراد حفظ نعمته على عبده ألهمه رعايتها بطاعته فيها، وإذا أراد زوالها عنه خذله حتى عصاه بها[1]].

كلمات نفيسة من شيخ جليل لا يجد المرء ما يقوله بعدها، فقد أوضح -رحمه الله- كيف أن زوال النعم من عقوبات المعاصى والذنوب فمعصية الله -عز وجل- تزيل نعمه الموجودة بالفعل بسلبها من صاحبها كما تمنع النعم التى توهب لذلك العبد العاصى، فالله -عز وجل- هو صاحب الملك يعطى ويمنع كيف يشاء سبحانه.

كما أوضح أن للنعمة أسبابًا تجلبها وهى الطاعات، ولها آفات تبطلها وهى الذنوب والمعاصى؛ فإذا أراد الله -عز وجل- بعبد خيرًا أعانه على الطاعة وهداه إلى سبلها، فكانت بذلك سببًا لحفظ نعمة الله عليه، وإن أراد به غير ذلك خذله؛ حتى يقع فى المعصية التى تكون سببًا فى زوال النعمة.

فالله -عز وجل- أعلم بنفوس عباده ونواياهم وهو -سبحانه- صاحب الفضل أولاً وأخيرًا وهو المتصرف فى شئون عباده، وله الحكم ولا يسأل عما يفعل.

فاللهم وفقنا إلى طاعتك وهيئ لنا السبل لذلك، فلا حول ولا قوة لنا إلا بك، ولقد كان من دعاء النبي ﷺ: [2] عَنْ مُعَاذ بْنِ جَبَلٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ أَخَذَ بِيَدِهِ وَقَالَ: يَا مُعَاذُ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ وَاللَّهِ إِنِّي لأُحِبُّكَ فَقَالَ: أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ: لا تَدَعَنَّ

---

(٢) الداء والدواء صـ ١٢٠.

(٢) (صحيح) أبو داود ١٥٢٢.

فِي دُبُرِ كُلِّ صَلاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ.. وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ كَانَ مِنْ دُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ [1]: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ وَفُجَاءَةِ نِقْمَتِكَ وَجَمِيعِ سَخَطِكَ.

كذلك نجزي من شكر

قال الله عز وجل: ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران١٤٤].

وقال عز وجل: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ [آل عمران١٤٥].

فأطلق -سبحانه وتعالى- جزاء الشكر ولم يعلقه على المشيئة وذلك كما أسلفنا يدل على عظم الجزاء من الله عز وجل.

ولقد ورد ذلك المعنى فى كتاب: (عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين) لابن القيم، فقال: [وقد وقف -سبحانه- كثيرًا من الجزاء على المشيئة كقوله: ﴿فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَاءَ﴾ وقوله فى الإجابة: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِنْ شَاءَ﴾ وقوله فى الرزق: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ﴾، وفى المغفرة: ﴿يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ﴾، والتوبة: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ وأطلق جزاء الشكر إطلاقًا؛ حيث ذكر قوله: ﴿وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾، ﴿وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾].

---

(١) (صحيح) مسلم ٢٧٣٩.

وما دام الله -عز وجل- قد أطلق الجزاء الشاكرين فلا أحد يستطيع أن يعلم له حدًّا أو منتهى، والجزاء منه ما يكون فى الدنيا، ومنه ما يكون فى الآخرة.

أما جزاء الآخرة فلا يستطيع أحد أن يحدده أو يصفه أو يتنبأ به على وجه الدقة؛ فذلك من الأمور الغيبية التى يجب أن نؤمن بها والتى لا يكتمل الإيمان إلا بها.

ولكن يمكننا القول من وحى القرآن والسنة أن الجزاء عظيم؛ لأنه من رب كريم وصف نفسه -عز وجل- بأنه شكور، أي: أنه يشكر للعبد ما يكون منه على قلته، فإذا فعل العبد الطاعة مبتغيًا بها وجه الله -عز وجل- راجيًا بها بلوغ مرضاته أثابه المولى عليها ثوابًا كبيرًا وقربه وجعل له خصوصية بين العباد، قال عز وجل: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَـٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام٥٣].

وما دام هؤلاء كذلك، فلا محالة أن الله يعد لهم نعيمًا مقيمًا وفوزًا عظيمًا؛ لأنهم لم ينشغلوا بالنعمة عن المنعم، ولم ينقلبوا على أعقابهم حين الابتلاء بل ثبتوا ورابطوا فاستحقوا بفضل الله وكرمه ذلك الفوز.

وأما جزاء الدنيا فله صور متعددة لا نستطيع أن نحصرها على وجه الدقة، ولكن نسأل الله -عز وجل- التوفيق فى أن نستشف بعضها ومن ذلك:

١- محبة الله -عز وجل- ورضاه

فالله -عز وجل- يحب من عبده أن يشكره على نعمه التي وهبه إياها ويرضى منه ذلك كما قال عز وجل: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ [الزمر٧] وما دام الله -عز وجل- يرضى لعبده الشكر فيعني ذلك أنه -عز وجل- يوفق العبد الشاكر لأسباب الشكر فيصير شاكرًا لله بقلبه ولسانه وجوارحه ويبذل من الطاعات ما يكون سببًا لأن يدنيه الله -عز وجل- ويقربه ويدخله دائرة الرضوان التي هي أعظم جزاء، ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾[التوبة٧٢] وما زال العبد في تلك الحال من التقرب إلى الله؛ حتى يصل إلى غاية المنتهى ألا وهي محبة الله -عز وجل- وكفى بها غنمًا، وذلك المعنى ورد في الحديث القدسي؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[(١)]: «إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالْحَرْبِ، وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ[(٢)] أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ؛ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنْ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ، وَمَا تَرَدَّدْتُ عَنْ شَيْءٍ أَنَا فَاعِلُهُ تَرَدُّدِي عَنْ نَفْسِ الْمُؤْمِنِ يَكْرَهُ الْمَوْتَ، وَأَنَا أَكْرَهُ مَسَاءَتَهُ[(٣)]».

---

(١) (صحيح): البخاري ٦٥٠٢.

(٢) عبدي: للقرب، الله يتودد إليك.. فلماذا لا تتقرب إليه؟ عبدي أي: العبد المكلّف الطائع.

(٣) يكره الموت وأنا أكره مساءته: لما يلاقيه المؤمن من صعوبة وكربة فيه، وليس كره الموت نفسه؛ فالموت يفضي به إلى مغفرة ربه ورحمته، فكان عمرو بن العاص يقول: كأني أتنفس من خرم

ولقد ذكر الامام ابن الجوزى ما نصه: [وأوحى الله -تعالى- إلى داود عليه السلام: يا داود لو يعلم المدبرون عنى كيف انتظارى لهم ورفقى بهم وشوقى إلى ترك معاصيهم لماتوا شوقًا إليّ وتقطعت أوصالهم من محبتى، يا داود هذه إرادتى فى المدبرين عنى، فكيف إرادتى بالمقبلين عليّ! [(١)]].

كرَمٌ لا يكون إلا من مالك الملك الكريم الحليم المتفضل علينا برغم غناه عنا، وبرغم فقرنا إليه. عسى أن تكسر هذه الكلمات أقفال القلوب لنقلع عن معاصينا ونتوب و إلى صراط ربنا نؤوب، ونكون ممن أقبلوا على ربهم بأداء الطاعات وهجر الذنوب.

٢- حفظ النعمة وزيادتها

فالشكر كما ذكرنا -آنفًا- يكون سببًا مباشرًا فى حفظ النعمة وبقائها بل وزيادتها.

وذكر عن علي بن أبى طالب -رضى الله عنه- أنه قال لرجل من همذان: "إن النعمة موصوله بالشكر، والشكر يتعلق بالمزيد، وهما مقرونان فى قرن؛ فلن ينقطع المزيد من الله حتى ينقطع الشكر من العبد"، وذكر أن عمر بن عبد العزيز قال: "قيدوا نعم الله بالشكر" [(٢)]. فالشكر -إذًا- حافظ للنعم سبب فى زيادتها.

إبرة، وقيل: المساءة أنه طول العمر وارذله، وقيل: عدم الإسراع بقبض روحه؛ حتى لا يسيئه، وقيل: لا يقبضه؛ حتى يحب الموت ولقاء ربه.

(١) التبصرة (١ / ٢٥).

(٢) عدة الصابرين صـ ١١٩.

٣- الشكر منجاة لصاحبه

هناك العديد من الأمثلة القرآنية التي تدلنا على أن الشكر ينجي صاحبه بأمر الله -عز وجل- من المهالك منها:

ما كان مع نبي الله نوح -عليه السلام- حيث وصفه الله -عز وجل- بأن كان عبدًا شكورًا فقال عز وجل: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء٣].

ونحن نعلم أن الله نجى نوحًا ومن آمن معه في الفلك، وأغرق من دونهم ولم يبق على وجه الأرض إلا تلك الفئة المؤمنة المتبعة لسيدنا نوح والسائرة على هديه من العبودية والشكر، فنجد أن من كان شاكرًا لأنعم الله على رأسها نعمة التوحيد والإيمان به -عز وجل- نجا، وأن من كفر واستكبر هلك.

ومنها ما كان مع قوم لوط فلقد قال عنهم ربهم جل وعلا: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ* إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ* نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ﴾ [القمر٣٣-٣٥]

فبين الله -عز وجل- أن النجاة كانت من نصيب الشاكرين نعمة منه -عز وجل- وجزاء لهم على شكرهم.

ومنها ما كان من أمر سيدنا إبراهيم الخليل حين أنجاه الله -عز وجل- من كيد المشركين حين أرادوا أن يلقوه في النار العظيمة التي أعدوها خصيصًا له، وبالفعل ألقوه فيها على مرأى ومسمع من الناس، ولكن الله -عز وجل- أمر النار أن

تكون بردًا وسلامًا على خليله فكانت، ونجاه الله -عز وجل- بقدرته؛ لأنه كما وصفه ربه كان شاكرًا لله -عز وجل- على أنعمه قال تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ* شَاكِرًا لِأَنْعُمِهِ اجْتَبَاهُ وَهَدَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [النحل:١٢٠-١٢١].

٤- السعادة

فالعبد حين يكون شاكرًا لله يكون طيب النفس مستريح القلب تعلوه السكينة والطمأنينة يشعر بالرضا عن الله ويسلم بقضائه فى كل حال؛ فهو على يقين بأن ما عند الله هو خير له.

وتلك الأمور تجعل منه عبدًا ربانيًّا لا يحمل هم الرزق، ولا يخشى الفقر وينفق راضيًا سعيدًا لا يحزن على ما فاته من الدنيا، ولا يفرح بها إن هى أقبلت عليه بل يُسَخِّر كل ما أتاه الله من النعم لمرضاته، ويستعملها فى كل ما يقربه منه -عز وجل- وإذا أنعم الله عليه بحلاوة القرب منه فثم السعادة الكبرى، وقد قال عبد الله بن المبارك رحمه الله:

رأيت الذنوب تميت القلوب وقد يورث الذل إدمانُها
وترك الذنوب حياة القلوب وخير لنفسك عصيانُها

الحمد

لقد تناولنا قبل ذلك ما قاله العلماء فى الفرق بين الحمد والشكر، وعلمنا أن الحمد هو أخص بالأقوال، وأنه يكون بالقلب واللسان دون الجوارح، وأن الله -

عز وجل- يحمد على أسمائه وصفاته وأفعاله ونعمه والقرآن العظيم يزخر بالعديد من الأيات التى تتناول موضوع الحمد وعلى رأسها سورة الفاتحة؛ التى هى أم الكتاب نراها تبدأ بالحمد وكذلك سورة الكهف وسورة الفرقان وسورة فاطر وسورة سبأ.

ولقد أمرنا المولى -عز وجل- بحمده كما أمرنا بشكره، ومن الأيات التى فيها أمر إلهى بالحمد قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْقِلُونَ﴾ [العنكبوت٦٣]

وقوله عز وجل: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل٩٣]

وقوله سبحانه: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ (٥٩)﴾ [النمل٥٩].

وغيرها من الآيات الكريمة التى تحمل أمرًا إلهيًّا بالحمد؛ فالعبد يجب عليه أن يحمد ربه كما أُمِر؛ وإن لم يفعل كان عاصيًا لأمر الله -عز وجل- ناقص الإيمان.

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [السجدة١٥]

فجعل المولى -عز وجل- حمده شرطًا للإيمان، فالعبد لا يكون مؤمنًا إلا بتحقيق الحمد لله -عز وجل- على أسمائه الحسنى وصفاته العلى وعلى نعمه وآلائه

وأفعاله؛ فهو وحده -عز وجل- المستحق للحمد لذاته وصفاته المنزه عن كل نقص؛ ولذا.. نجد الحمد مقرونًا فى كثير من الأيات بالتسبيح كما فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ [غافر٧]

وكقوله عز وجل: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ* وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ [الروم١٧-١٨].

[فالتسبيح لله هو تنزيهه -عز وجل- وقولنا: سبحان الله، معناه التنزيه لله، وهو نصب على المصدر كأنه قال: أبرئ الله من السوء براءةً [(١)]].

فالله -عز وجل- لكونه منزهًا عن كل نقص مبرأً من كل عيب وليس ذلك إلا له وحده -سبحانه وتعالى- استحق أن يكون الحمد له وحده؛ ولذلك نجد الحمد والتسبيح مقترنين فى الكثير من الآيات والأحاديث والأدعية كما قال رسول الله ﷺ [(٢)]: «كَلِمَتَانِ خَفِيفَتَانِ عَلَى اللِّسَانِ ثَقِيلَتَانِ فِي الْمِيزَانِ حَبِيبَتَانِ إِلَى الرَّحْمَنِ سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم» الميزَانُ أَيْ: مِيزَانُ الحَسَنَاتِ يَوْمَ القِيَامَةِ.

وكان مما وصى به خليل الله إبراهيم نبينا ﷺ وعلى الخليل وسلم تسليمًا كثيرًا فى رحلة الإسراء والمعراج كما روى عن ابن مسعود -رضى الله عنه-؛ قَالَ: قَالَ

---

(١) مختار الصحاح ٢٨٢.

(٢) (صحيح): البخارى ٦٤٠٦، مسلم ٢٦٩٤، الترمذى ٣٤٦٧.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : لَقِيتُ إِبْرَاهِيمَ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَقْرِئْ أُمَّتَكَ مِنِّي السَّلامَ، وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ الْجَنَّةَ طَيِّبَةُ التُّرْبَةِ عَذْبَةُ الْمَاءِ وَأَنَّهَا قِيعَانٌ وَأَنَّ غِرَاسَهَا سُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ وَلا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاللَّهُ أَكْبَرُ[١].

ودائما ما نجد التسبيح والتحميد فى الأذكار والأوراد المأثورة عن المصطفى ﷺ وكان مما يدعو به ﷺ : سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، لذا.. كان يقول ﷺ[٢]: «مَنْ قَالَ سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ وَبِحَمْدِهِ غُرِسَتْ لَهُ نَخْلَةٌ فِي الْجَنَّةِ».

والحمد قد قرن فى كثير من الآيات بأسماء للمولى -عز وجل- كما هو الحال فى سورة الفاتحة، وهذا الاقتران ما دام فى كتاب الله -عز وجل- الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فلا بد أن يكون له مقتضى ولقد أوضح ذلك المعنى الإمام ابن القيم رحمه الله فقال: [فى ذكر هذه الأسماء بعد الحمد وإيقاع الحمد على مضمونها ومقتضاها: ما يدل على أنه محمود فى إلهيته، محمود فى ربوبيته، محمود فى رحمانيته، محمود فى ملكه، وأنه إله محمود ورب محمود، ورحمن محمود، وملك محمود، فله بذلك جميع أقسام الكمال: كمال هذا الاسم بمفرده، وكمال من الآخر بمفرده، وكمال من اقتران أحدهما بالآخر[٣]].

---

(١) (صحيح): الترمذي ٣٤٦٢.

(٢) (صحيح): الترمذى ٣٤٦٤، صحيح الجامع ٤٥٧٢.

(٣) مدارج السالكين (١) صـ ٤٤.

وهذه الفقرة من كلام ابن القيم رحمه الله تعرض فيها لأسماء الله -عز وجل- التي جاءت في سورة الفاتحة، والتي تلت قوله تعالى الحمد لله في بدايتها؛ فجاء بعد الحمد (لله) رب العالمين (الرحمن الرحيم) (مالك يوم الدين).

وقال -أيضًا- في الموضوع نفسه ضاربًا أمثلة على اقتران صفات الله -عز وجل- بعضها ببعض؛ [مثال ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾ و "وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيم" " وَاللَّهُ قَدِير وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ"] فالغنى صفة كمال، والحمد صفة كمال واقتران غناه بحمده كمال أيضًا، وعلمه كمال، وحكمته كمال واقتران العلم بالحكمة كمال أيضًا، وقدرته كمال، ومغفرته كمال واقتران القدرة بالمغفرة كمال، وكذلك العفو بعد القدرة (فإن الله كان عفوًا قديرًا) واقتران العلم بالحلم، (والله عليم حليم).

وحملة العرش أربعة؛ اثنان يقولان: "سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك"، واثنان يقولان: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، فما كل من قدر عفا، ولا كل من عفا يعفو عن قدرة، ولا كل من علم يكون حليمًا، ولا كل حليم عالم، فما قرن شيء إلى شيء أزين من حلم إلى علم، ومن عفو إلى قدرة، ومن ملك إلى حمد، ومن عزة إلى رحمة[1]].

إذًا.. فحملة العرش عملهم الأوحد هو التسبيح بحمد ربهم -عز وجل- يفعلون ذلك آناء الليل وأطراف النهار لا يسأمون ولا يتعبون ولا يتوقفون.

---

(١) مدارج السالكين (١) صـ ٤٥.

وكذلك حال جُلِّ الملائكة؛ ألا نستشعر بعد كل ذلك عظم مقام الحمد عند الله -عز وجل- الذى من أجله خلق هؤلاء الملائكة. وكيف أن الحامدين هم صفوة الله من خلقه، إذ أنهم يحملون فى قلوبهم نورًا ملائكيًا يسمو بهم فوق عرض الدنيا وزهوها، فتراهم يحيون بين البشر بأجسادهم؛ لكن أرواحهم متعلقة بربهم -عز وجل- لا يجدون لذة العيش إلا فى ذكره وشكره والتسبيح بحمده؛ فطوبى لمن كانت تلك حاله.

اللهم ارزقنا حمدك يا رب العالمين، واجعله ملء قلوبنا وأجره على ألسنتنا، واحشرنا يوم القيامة مع حبيبك محمدﷺ، حامل لواء الحمد، واجعلنا من أهل الجنان الذين قلت فيهم وقولك الحق: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [فاطر٣٤]

وجعلت الحمد آخر دعواهم: ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [يونس١٠]